بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

نقرأ في الزيارة المروية بمناسبة الأربعين: (...وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا، وأشهد أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متبع ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم صلوات الله عليكم)[2]**، أحاول أن أبين من خلال هذه الفقرة من الزيارة أمرا لطالب المعرفة بالإمام الحسين (ع)، فمعرفته (ع) أمر راجع لكل واحد منا، هل يريد أن يعرفه (ع)؟ أم أن طريقة تدينه لا تمر عبر الإمام (ع) فلا يحتاج لذلك وهذا منتشر**

هناك طريقتان في معرفة الأئمة (ع) – ومعرفة الحسين (ع) باعتباره معلما رئيسيا لمعرفة الدين – طريقة متعارفة وشائعة وهي أن شخصا يريد معرفة الإمام عن طريق التحليل فيبحث عن كيفية وجوده وكيفية خلقته، وما هي شخصيته، وكيف كان وهل الله خلقه ثم خلق الكون لأجله أم أن الله خلقه ثم فوّض الأمر إليه فهو الذي خلق الكون وأمثال ذلك، هذه الطريقة رائجة والتركيز فيها يكون على ماهية الإمام وشخصيته ومقاماته وفضائله وأمثال ذلك، ولكننا لسنا مكلّفين بذلك

وكذلك التعامل مع الله عز وجل فلنفترض أن الله عز وجل له ماهية ولنفترض أنها كانت قابلة للمعرفة والفهم فهي لا تقع في طريق حركتي الدينية، الله أمرني بأن أعبده فالمطلوب مني هو أن أتخذ الله تعالى ربا أعبده، وكذلك الإمام له مقامات ولكن أنا لست مكلفا بأن أعرفها، فإن الإمامة بهذا اللحاظ كما في الرواية (أجلُّ قدرا وأعظم شأنا وأعلا مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم...)[3]**، فما لا يستطيع المرء أن يعرفه هو ليس مكلفا به**[4]**، (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)**[5]

وهناك طريقة أخرى مغفول عنها وهي أن ينطلق الإنسان من نفسه، ففي نفس الإنسان توجد تطلعات ودوافع معينة هذه التطلعات هي التي تدفعه في اتجاه معيّن، مثلا أنت حينما تعطش تتطلع إلى شرب الماء،

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس سره) بهذا الحديث في ١٨ صفر ١٤٢٥ وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) بحار الأنوار (٣٣١/٩٨) نقلا عن التهذيب

(٣) الكافي (١٩٩/١)

(٤) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا نهج لي الطريق**) ص٦٠

(٥) (الطلاق: ٧)

فهذا العطش تطّلع وهو الذي يدفعك لأن تبحث عن الماء، هدفك هو وجدان الماء وشربه، وهنا أنت لا تبحث عن خصائص الماء وماهيته، فالمطلوب منك أن تشربه وهذا الدافع الذي أوجده الله في باطنك هو الذي يدفعك إلى شرب الماء ولا يدفعك إلى أن تعرف مكونات الماء لأن هذا التطلع ليس موجودا في نفسك

وكذلك التعامل مع الأمور الدينية (وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المسلمين ومعقل المؤمنين، وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي) تارة نحن نطوّف هذه الأشياء –كما هو متعارف– حتى الشخص حينما يذهب لزيارة الحسين (ع) يقف في مقابل قبره الشريف وحتى إذا كان متفاعلا مع الزيارة فعلى الأكثر لا يفكر في هذه الأشياء ولا تهمّه، وإنما هو يريد التفاعل مع زيارة الإمام الحسين (ع) بأي صورة كانت، وتارة أخرى حينما يردد هذه الكلمات المذكورة في الزيارة فهي بالنسبة له تعني أمرا ولها قيمة وتعطيه عقيدة

يوجد طريقان للتعامل، الأول بأن يتساءل: ما هو معنى الإمام؟ وكيف أنه (ع) (من دعائم الدين)؟ بعد ذلك (البَر التقي) كيف كان الإمام برا تقيا؟ وما هي التقوى؟ وأمثال هذه التساؤلات، والطريق الثاني: هو أن نفسك تعرف البرّ بإجماله، لأن الله جعل النفس تعرف المسائل بإجمالها ولكن الذهن هو الذي يحلّل ويفصّل ويجزّئ المسائل[٦] ويجعل الإنسان يتيه في كل واد، في نفسك توجد صورة إجمالية عن (البرّ) وتوجد صورة عن (التقوى)، لذلك يوجد في فطرتك حنين إلى البر وإلى التقوى وإلى الإمام (ع)، لو لم تكن في نفسك صورة عن تلك الأمور وعن الإمام (ع) فالاندفاع لها لا يحصل لك، الإنسان الذي يعيش فطرته يندفع إلى التقوى وإلى البر ويندفع إلى الإمام الذي تتوفر فيه هذه الخصال، لأن الإنسان يحب أن يحصل له تقوى، بل حتى الإنسان غير المتقي يوجد في قرارة نفسه احترام للتقوى وللمتقين، إلا أن يصل إلى الحضيض بحيث ينقلب قلبه أعلاه أسفله وأسفله أعلاه

هنا بشكل طبيعي نفسك تندفع إلى التقوى وإلى البر فتجدها متجسّدة في الإمام الحسين (ع) وتجد كذلك تلك الخصال المذكورة في هذه الزيارة وغيرها تجدها في الحسين (ع)، لأن نفسك موثوقة بهذه الخصال وأنت مخلوق هكذا، أما إذا كنت من الذين لا يهتمون إلا بحياتهم الشخصية فهذه المشكلة أنت أوجدتها وضيّعت نفسك وليست المشكلة في خلقتك (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)[٧]

---

[٦] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة كتاب (هكذا آمنت ١) فصل (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)

[٧] (التين: ٤–٥)

فحينما تنطلق من تلك الدوافع والتطلعات الموجودة فيك ستجد الإمام الذي تعرفه نفسك إجمالا وتحن إليه وتندفع إليه، وهنا بشكل طبيعي ستجد الحسين (ع) إماما لك، وتكون صادقا حينما تقول: (وأشهد أنك الإمام البَر التقي) الذي أنت عرفته وشهدتَ بذلك، يعني أنت ائتممت به واتخذته إماما لأنك وجدت فيه البرّ الذي تطلبه، ووجدت فيه التقوى التي تبحث عنها، ووجدت فيه كل ما تنجذب إليه نفسك ويلبي تطلعاتك، فلا تكتفي بأن تقول (أشهد) بمعنى مجرد أني أعترف بهذا، بل تعرف هذا الإيمان وتشهد به لأن شخصية الإنسان هكذا مخلوقة أن تشهد بهذا الإيمان وتتبناه وتتعهده[٨]

(وأشهد أني بكم مؤمن) الإيمان من الأمن، الأمن والاستقرار النفسي له مظهران: استقرار نفسي حقيقي وهو أن تجد الإجابة في الواقع لتطلعات نفسك التي تقلقك فهنا هذه التطلعات ترضى وتأمن، في مقابل استقرار واطمئنان كاذب وخادع، هذا الذي الآن إمامة العالم وإمامة الشهوات تسعى لترويجه للناس في هذه الدنيا، وهذا لا يكون إلا بالإلهاء والتخدير، مثلا بنو أمية اتخذوا يوم مقتل الإمام الحسين (ع) عيدا وزينوا المدينة، معروف أن شخصا من أصحاب رسول الله (ص) حينما التقى بشخص في الشام فسأله أي عيد هذا؟ قال أنه عيد مقتل الحسين (ع)[٩]، وهذا يعني أنهم كانوا يبحثون عن الاستقرار والطمأنينة في هذه الدنيا وأن وجود الإمام الحسين (ع) كان يقلقلهم ويسبب لهم مشكلة، وحينما قتل الإمام (ع) فرحوا بذلك وجعلوا ذلك اليوم عيدا، هذه الطمأنينة التي حصلت لهم وهذا الاستقرار الذي حصل لهم كان استقرارا نفسيا خادعا وكاذبا حتى بلحاظ هذه الدنيا فلا شيء في هذه الدنيا ثابت ومستقر

الإنسان المؤمن يعلم بأن الأمور بيد الله تعالى، فلا يبحث عن طمأنينة من خلال هذه الدنيا لأنه يعلم أن هذه الدنيا ليست دار قرار، لا أحد يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل فهذا الاستقرار الذي الإنسان يشعر به هو استقرار كاذب، هذه الطمأنينة التي يشعر بها أغلب الناس هي طمأنينة كاذبة، حتى لو كان الشخص متدينا فيتصور بأنه الآن صار له استقرار وطمأنينة وراحة وأن كل شيء تحت السيطرة، هذا استقرار كاذب وطمأنينة كاذبة

بينما الإنسان المؤمن دائما يذكّر نفسه وينمّي فيها البداء (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[١٠]، أنت لا تدري بعد ساعة ماذا يحدث لك، إحساسك بأن الأمور بيد الله هذا بنفسه يجعلك تستقر وتطمئن لأنه يحميك من الدنيا، لذلك الله يبتلي المؤمن ليحميه من الدنيا فيقلقه في هذه الدنيا حتى لا يتخذ

---

(٨) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**الإمامة واللباس**) ص٩٢

(٩) مقتل الخوارزمي (٦٧/٢)

(١٠) (الرعد: ٣٩)

الدنيا دار قرار وليجعله يتعامل معها على أنها –كما في رواية– (دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة لا تدوم أحوالها ولا يَسْلَمُ نُزَّالُها، أحوال مختلفة وتارات متصرفة)[11]، فاهتمام المؤمن بالبداء وأن لله فقط المشيئة، المشيئة ليست لك ولي ولا لأحد، مثلا حينما تضيق عليك مشكلة ما ولا تجد لها فرجا وأنها أحاطت بحياتك كلها ثم بعد فترة تجد هذه المشكلة قد انفرجت أو حتى قد لا تنفرج، لكن ترى أن هذه المشكلة لم تكن لها تلك القيمة التي أنت تصورتها، تغيرت الأمور، إذن البداء يحميك أن تطلب الراحة والقرار في هذه الدنيا، وكذلك يحميك أن يؤثر عليك أصحاب الدنيا

(أني بكم مؤمن) الإنسان يبحث عن الأمان، من أهم غرائز الإنسان أنه يبحث عن الأمان، فإمامة الضلال وإمامة الشهوات تسعى أن توحي للناس أن هذا الأمان يوجد حينما تحصل على الأمور الدنيوية مثل المال والجاه وغيرها، وأن هذه الأشياء من الممكن أن تعطيك شعورا بالأمان لكن هذا الشعور شعور كاذب

الله عز وجل يذكّر الإنسان ويبصّره بأنه لا أمان في هذه الدنيا إنما الأمان في الآخرة، وحينما تبحث عن الأمان الذي يتحقق في الآخرة فهنا تكون مستعدا لأن تضحي بكل ما عندك وتتحمل الكثير لأن تأمن في الآخرة، هذا الأمان تجده مع الإمام الحسين (ع) فهو يعطيك الأمان كما أعطى الأمان لأصحابه، مثلا الحر (رض) الذي تخلى عن منصبه كقائد لألف فارس كانوا تحت إمرته فترك كل ذلك والتحق وقاتل مع الحسين (ع)، وكأنه كان يقول: يا أبا عبد الله أنا بك مؤمن، أنا وجدت الأمان معك، وكذلك حبيب (رض) كان لسان حاله يا بن رسول الله أنا بك مؤمن، وهؤلاء الذين كانوا في ليلة عاشوراء يقولون (واللهِ لوعلمتُ أنِيّ أُقْتَلُ ثمّ أحيا ثم أُحرق ثم أحيا ثم أُذَرَّى، يُفعَلُ ذلكَ بي سبعينَ مرة ما فارقتُكَ...)[12]، أي أمان هذا الذي وجدوه؟ هذه الدنيا كلها تخلوّا عنها، جاهدوا وتحمّلوا البلاء والمصائب والمشاكل لأجل ذلك الأمان (أني بكم مؤمن)

نحن كذلك نطلب الأمان فننطلق من أنفسنا التي تعرف الأمان وتحن إليه وتطلبه وترغب فيه، ويريد كل واحد منا أن يخاطب الإمام: يا أبا عبد الله إني مؤمن بكم أتحمل البلاء لأجلكم، أتحمل المصائب لأجلكم، أتمنى أن أعاني كما عانيتم، أريد أن أعرف دعوتكم فأكون معكم، هذا يعطيني الأمان الذي أطلبه وأرغب فيه، ويعطيني الأمان الحقيقي الذي يزيل القلق والضعف

أرجو أن يجعل الله في هذا الحديث نفعا ويجعلنا نطلب الأمن والأمان مع الحسين (ع)، والحمد لله رب العالمين

---

[11] نهج البلاغة (الخطبة ٢٢٦)

[12] الإرشاد (٩٢/٢)